موعد مع القاعدة
الكاتب : أحمد الشامي
التاريخ : 29 ديسمبر 2011 م
المشاهدات : 4804

قبل تفجيرات دمشق الأخيرة، تذكّرت وسائل ﷺعلام نظام الممانعة في دمشق الأصل السوري لزعيم القاعدة الراحل "أسامة بن لادن" وأن "والدته من اللاذقية". بعدها أتت تفجيرات جمعة "بروتوكول الموت" اسماً على مسمى وسط "فرحة" عارمة وتهليل أبواق النظام على مبدأ "لو لم تكن القاعدة موجودة لوجب خلقها".

لا نستطيع أن نؤكد هنا أن النظام هو الذي أرسل هذه الرسائل الملغومة، فليس لدينا القدرة على التثبت من اسم الفاعلين ولا ندعي قراءة الغيب، لكن من الصعب استبعاد تورط جهات من النظام في العملية، فنظام الشبيحة في دمشق "يعملها و يعمل أكثر منها...".

"فرح" أجهزة ﷺعلام النظام لم يكن خافياً على متابعي هذه الوسائل. بدا مذيعو الأقنية السورية التلفزيونية في غاية السعادة وهم يعلقون على مشاهد جثث الشهداء وهم "يعتذرون" من المشاهدين لفظاعة هذه الصور، ومع ذلك يعيدون بثها بسادية غريبة. هؤلاء شهداء ولو كانوا من أجهزة الأمن، لأنهم كباقي أفراد الشعب، ضحايا لنظام لن يتوانى عن التضحية بأي منهم، بل وبهم جميعاً للحفاظ على السلطة.

المستفيد الأكبر، والوحيد على ما يبدو، من هذه التفجيرات هو نظام الأسد لدرجة تجعل فرضية أن أحد أجنحة النظام هو من "عمل طلبية" للعملية هي الأقرب للتصديق، لنفترض مع ذلك أن القاعدة ـأو مجالس الصحواتـ قد تعاطفت مع آلام الشعب السوري وقررت "افتتاح" فرع لها في بلاد الشام "للمساهمة في تحرير البلاد والعباد من العدو المجوسي وأذنابه"، وأنها باشرت نشاطها المحلي بحركة مسرحية تهدف للفت الأنظار لوجودها. في هذه الحالة يصح أن نقول لها بلهجة أهل الشام: "الله لا يعطيكم العافية فوق تعبكم...".

القاعدة التي تبدأ نشاطها بعمليات "انتحارية" في قلب دمشق هي قاعدة مدسوسة ومتخلفة عقلياً، فهي اختارت يوم جمعة تظاهر لكي تقتل مدنيين أبرياء وعناصر أمن شبه متعفنين، يرابطون على أبواب وحراسات مراكز استخباراتية، لا لهم في العير ولا في النفير ﷺلا ما ندر. ثم أنها باشرت عملها يوم وصول مراقبي الجامعة العربية! وهؤلاء كسالى ومتعاونون مع النظام وسيكتفون بزيارة مواقع التفجير وعيادة الجرحى قبل أن يعودوا لبلادهم مؤكدين أنهم "قد شاهدوا تفجيرات قامت بها عصابات إرهابية تهاجم عناصر الأمن المساكين وأن النظام لا يفعل سوى الدفاع عن نفسه!". مع أعداء مثل هكذا قاعدة لا يحتاج النظام السوري لأصدقاء. الثورة السورية بغنى عن "أصدقاء" من هذا النوع لن يجلبوا معهم سوى الخراب.

مع ذلك، لننتظر رأي قادة "القاعدة" التاريخيين من مثل الظواهري، فإن هم أظهروا دعماً لهذه الممارسات المجنونة فسيصح حينها أن نقول مع طارق الحميد "أن القاعدة تدعم الأسد...". حينها يكون نظام الممانعة الأسدي قد جمع المجد من أطرافه ووحد النقائض على دعمه! تكون حينها إيران وروسيا والصين وإسرائيل مع أمريكا والعراق والقاعدة في صف نظام

الأسد...

إن لم تكن القاعدة هي المسؤولة فمن فعلها إذاً؟ هل يكون النظام السوري هو من "حضّر" مسرحية التفجير ذات الفائدة الكبيرة له، أو سهّل وقوعها، وهو ذو الباع الطويل والخبرة التي لا تضاهى في هذا المضمار؟

ن صحّ هذا فهو يعني تغييراً في إستراتيجية النظام لمواجهة الأزمة، بعدما أعاد علام الأسد وكرر "مؤامرة وخلصت" ها هو يغير الأزمة إلى "مؤامرة وبلشت وهذي دلائلها". في تفسير أحاجي الخطاب الأسدي هذا يعني "اعترافاً" على طريقة النظام بوجود أزمة جدية وبضرورة حشد الطاقات لمواجهتها، وهو ما يفتح الباب على مصراعيه للتصعيد العسكري من قبل قوات الأسد. في الثمانينات كانت تفجيرات الأزبكية ومجزرة مدرسة المدفعية من مبررات الحل الاستئصالي الذي مارسه النظام في حماه فيما بعد، فهل ينوي النظام الانتقال إلى حرب مفتوحة ضد شعبه بعدما "فبرك" ما يلزم لتأكيد أنه يتعرض لهجمة إرهابية؟

ثم علام يستعجل النظام؟ فالقاعدة و"ما بعد القاعدة" ستأتي ومعها كل من هب ودب من الراغبين "بمواجهة الغزو المجوسي لأرض أهل السنة"، وسيكون لأسد الشام كل ما يرغب من أدلة حول تدفق الانتحاريين إلى سوريا، بفضل همجية نظامه وعنجهيته وبفضل مجازره التي لا تنتهي. لا أحد يدعم الشعب السوري الذبيح، لكن هل بقي هناك أحد لا يدعم الأسد؟ حتى أردوغان أصابه الخرس بعدما شاهد مدى نفوذ الأسد! إذ كيف نفسر الصحوة المفاجئة للضمير العالمي تجاه مجازر الأرمن بعد مئة عام على هذه المجازر، بالضبط حين يرفع الأتراك عقيرتهم معترضين على مجازر تقع اليوم في سوريا. العالم يبكي وبحق على مجازر الأرمن وهولوكوست اليهود التي جرت القرن الماضي وهو يتعامى تماماً عن "الهولوكوست" السوري المستمر منذ الثمانينات وعن آلاف الضحايا الأبرياء الذين سقطوا منذ اندلاع الثورة السورية.

يبدو أن لا أحد يرغب في التورط مع نظام القتلة في دمشق كرمى لعيون الضحايا السوريين. لا أحد يهتم حتى بمحاولة تخفيف معاناة الشعب السوري البطل مما يقوم به هذا النظام من جرائم، أقصى ما يقدمه هؤلاء هي "قذائف" و"مناطق آمنة" إعلامية تتحرش بالنظام ولا تزعجه فعلاً، من قبيل رفع العتب، إن لم يكن بهدف الضغط على النظام لكي يصحح سلوكه فيما يخص تحالفاته الإيرانية، الدم السوري رخيص على هؤلاء جميعاً، لا أستثني منهم أحداً.

آخر المنضمين لجوقة المدافعين عن الأسد هو رئيس فريق "المشاهدين" العرب، السوداني الفريق "الذابي" الذي وجد الوضع في حمص "مطمئناً" بعد سقوط مئات الشهداء، ورغم وجود "بعض المدرعات" في شوارع المدينة! هذا ليس بمستغرب من قبل رئيس مخابرات دولة انقسمت نصفين وتعيش حربين أهليتين في وقت واحد ورئيسها وأكثر مسؤوليها، بما فيهم الفريق الذابي نفسه، مطلوبون للعدالة الدولية لارتكابهم مجازر ضد الإنسانية!

العالم كله، بقضه وقضيضه، مُجمع على محاولة إنقاذ نظام الأسد من نفسه. كلهم، بما فيهم القاعدة، يأتون زرافات ووحداناً وينتظرون دورهم لتقديم الهدايا للعصابة الحاكمة في دمشق، آن الأوان كي ندرك أن للنظام السوري عدواً واحداً هو شعبه.

المصدر: موقع أرفلون نت

المصادر: